مكتبة المقتطف

انساب الاشراف للبلاذري

القسم الثاني من الجزء الرابع — ١٧٢ ص للمتن و٤٢ ص للتعليق من القطع الكبير. نشره ماكس شلوسنجر Schlossinger بمدينة القدس ١٩٣٨ / وظهر ١٩٣٩) في مطبعة مدرسة الآثار الشرقية للجامعة العبرية

قد سبق لي هنا كلام على الجزء الخامس من « أنساب الاشراف » للبلاذري الذي نشره في القدس ايضاً الاستاذ جويتشين Goitein وكان ذلك الجزء فاتحة الاجزاء المعدّة للنشر. وهذا القسم الثاني من الجزء الرابع يتلوه. ومداره اخبار يزيد بن معاوية وآله، ثم فيه أخبار ولد زياد بن أبي سفيان (ابن أبيه) ولاسيما عبيد الله بن زياد، وأخبار محاربة الخوارج، وأخبار الحاص بن امية وآله ولاسيما عمرو بن سعيد الأشدق، وأخبار ابي العيص بن امية وولده، وينتهي الجزء بعثمان بن العاص بن أمية

وفي هذه الأخبار ما لم يذكره أحد من أصحاب التواريخ، من ذلك ما وقع ليزيد بن معاوية في خلافته وما نُسب اليه من الشعر، ومن ذلك ماكان من أمر الخوارج، ويقول الناشر هنا بأن البلاذري كأنهُ عوّل على مصدر لأحد من الخوارج لم يصل الينا

وقد جاء نشر هذا الجزء على أتم شكل من جهة الإخراج العلمي، فقد تحرى الناشر الدقة في تدوين المتن، ثم عمل له تعليقات جعلها في كتاب قائم برأسه. وقد أثبت في هذه التعليقات روايات المتن في الاصل إذا هو خالفها ثم أشار إلى المصادر العربية الاخرى التي جاءت فيها الاخبار الواردة في ذلك الجزء من أنساب الاشراف، رغبة في الفراغ وإتمام الفائدة. وهذه التعليقات حقيقة بأن نغتبط لها وبأن نقدر فضل صاحبها. ولو تمنّيتُ شيئاً بعد هذا قلت: ليت الناشر جعل روايات الاصل في هامش المتن لا في كتاب مستقل عنهُ فيراجع القارىء ويعارض لفوره بدلاً من أن يترك نصّاً بين يديه ثم ينطلق يفتش عن أصله في هامش كتاب آخر أو يبحث عن النص الذي بين يديه رواية في الأصل قد عدل عنها الناشر؟ وعسى أن يلتفت الناشر واصحابه الى هذا الامر بعد اليوم — وبعد، فقد وقفتني أشياء في المتن أحب أن أعرض بعضها عليك:

ص ٧ س ٢، ٢١:

فان معي ذمة من يزيد ... وإني أعوذ بسلاسكا
من أن أظلم اليوم أو أن تطيـــع بي الكاذب الآثم الآفكا

والوجه : من ان (بهزة وصل ، وهي من ضرائر الشعر) حتى يستقيم الوزن

ص ١٠ س ٩،٥ :

إذا ما قريش فاخرت بطاريفها فخرت بمجد يا يزيد تليد
بمجد امير المؤمنين ولم يزل أبوك امين الله جدّ رشيد
به عصم الله الأنام من الردى وأدرك ثلاً من مآثر صيد

ولعلّ الوجه : «مجد رشيد» (والمعنيُّ : معاوية)؛ وفي رواية الاغاني : غير بليد . ويقول هنا الناشر : ربما عنى الشاعر خالد بن يزيد ، وهذا من باب التأويل المرسل ارسالاً

ص ٥٠ س ٤: امراءة من الخوارج — والصواب : امرأة

ص ٦٢ س ١٤ : قال معاوية بن يزيد في الخلافة : والله ما تمنّي حيًّا أفأحملها ميّتاً — والصواب : ميْتاً. فالتعالم ان الميّت (والماثت) هو الذي لم يمت بعدُ ، وأما الميْت فهو الذي مات (راجع القاموس مثلاً) . وقد أراد معاوية المعنى الثاني ، ودليل ذلك ما رواه البلاذري (ص ٦٣ س ٢٠ وراجع ص ٦٥ س ٦) «لما حضرت الوفاة (معاوية بن يزيد) قيل له لو استخلفت فقال كفيتها حياتي ، واقضّتها بعد موتي ؟ فأبى »

ص ١٣٤ س ٨ و ٩ : ان سعيد بن العاص كان جالساً ومعه قوم وهو يحدثهم فسقط جدار على قوم فانفضوا الاّ فتى ثبت معه حتى اتمّ حديثه ... — والوجه : على القوم

ص ١٣٨ س ٧ : ولقد ضرّستني الامور وجرّستني الدهور — ولعل الوجه : ضرّستني بتشديد الراء للازدواج بشر فارس

فلسفة الطب

أو غز الامراض الباد — تأليف الدكتور حسني متيع — أستاذ الامراض الباطنية وسريريها ورئيس المعهد الفني الطبي — مطبعة الجامعة السورية بدمشق — صفحاتها ١٠٧١ — قطع المقتطف — ٢٤ ابيض

هذا كتاب نفيس في ما يتيف على الف صفحة ما كان ليقدم عليه الاّ عالم متمكن وكاتب متمرس بصناعة القلم . ففي صفحاته المتوالية تنتظم النظريات والآراء العلمية التي من ورائها حقائق الطب الحديث واساليبه . هنا دراسة الوراثة (وهي جزء من دراسة أسباب المرض الباطنية) وهنا بحث المؤثرات الكيميائية من أغذية وسموم وغيرها (وهو جانب من دراسة اسباب المرض الخارجية) . وهنا ايضاً باب كبير في التغذية والشبادئ الغذائي وآخر في الغدد الصمّ ومفرزاتها الباطنة . ولو حن شئنا ان ننقل سجلّ محتويات الكتاب فقط لما اتسعت لذلك اربع صفحات من هذا الباب . وانما يجد القارىء في ما تقدم مثلاً على خاصة ما تنطوي عليه صفحاته

يقول المؤلف في تواضعه « ويعتبر الطب من هذه الوجهة علماً وفنًّا وصناعة معاً . فهو علم يطراز دراسته والاحاطة به . وفن بطريقة ممارسته وما يتطور ذلك من دائم التغير والتبديل تبعاً لناموس الارتقاء . وهو صناعة لانهُ مورد رزق لمحترفه . والطب في عصرنا نتيجة جملة علوم وفنون ومحصلها ٠٠٠٠ » . وما عليك الاَّ مطالعة بضع صفحات متوالية من هذا السفر الجليل لتدرك ما عاناهُ المؤلف في تتبع بحوث الكيمياء والطبيعة والكيمياء الحيوية والفسيولوجيا وغيرها علاوة على علوم الطب المختصَّة لكي يخرج من مطالعته وبحثه بهذه الصفحات اليسيرة للمطالع المفيدة للطبيب

كنا نكتب الفصل الاول من مقتطف هذا الشهر عند ما تلقينا هذه الهدية النفيسة ، ففتحنا الكتاب على غير قصد فانفتح عند الصفحتين ٤٨٨ و ٤٨٩ فوقع نظرنا على لفظ acetylcholine واسم كانون Cannon فاذا البحث الذي تنقلهُ عن عدد حديث من مجلة اميركية يجعل اجمالاً عليًّا طيًّا في هذا الكتاب . واذا اعوزنا الدليل على ان المؤلف استقصى احدث ما خرج من مسائل البحث مما يمتُّ الى الطب بصلة فهذا وغيرهُ الدليل القائم

وفعلٌ معجم المصطلحات الطبي الفرنسي العربي الذي ذيَّل به الكتاب أنفس اجزائه وهو في ٤٣ صفحة كل صفحة منها تحتوي على نحو اربعين لفظاً عربيًّا مرتبة على حروف الهجاء ومقابلها الفرنسي . واذا كنا نقتصر الآن على هذه الكلمة الموجزة فلأن المجال ضيّق والرجاء معقود على العودة اليهِ في فرصة قريبة لايفائه حقه

النقود العربية وعلم النميات

الاب أنستاس ماري الكرملي . مكتبة لويس سركيس بالفجالة في القاهرة ١٩٤٥ : ٢ من من قطع المقتطف

هذا سفر جديد يضيفهُ العلامة الاب الكرملي إلى خزانة الكتب العربية ، وله عليها أيادٍ لا تكاد تحصيها إلاَّ بالمراجعة والتذكر . وهذا الكتاب يتناول فنًّا لم يطرقهُ الباحثون من وجهه دون غيره . وسبب ذلك ان التصانيف العربية التي تبحث في النقود لا تزيد على اربعة ، والباقي فرع منها ، كما يقول المؤلف : وهذه الاربعة هي رسالة في آخر « فتوح البلدان » للبلاذري ، واخرى في النقود الاسلامية للمقريزي ، واخرى نجدها في الجزء العشرين من « الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة » لمبارك ، والرابعة في « تحرير الدرهم والدفاتر والمثاقيل والمكاييل ، وبيان مقادير النقود المتداولة بمصر على مقتضى ما حدد بدار الضرب سنة ١٢٥٦ » تأليف مصطفى الذهبي الشافعي

والرسالة الاولى والثانية مطبوعتان ، والثالثة متداولة مع مجموعتها ، واما الرابعة فما لا يزال

مخطوطاً . وقد اهتدى اليها الاب العلامة فاقتناها . وها هو ذا ينشرها في هذا الكتاب . وقد رأى أن يسبقها بنشر الرسالتين الاولين فيزيد في تحريرهما من طريق التمحيص والمراجعة ، وفي تقريب فوائدهما بإثبات المسارد (الفهارس) واستعمال الموازنة والمقابلة . وقد أضاف الى كل ذلك ما سطره ابن خلدون في مقدمته والقلقشندي في «صبح الاعشى» بشأن السكة والنقود . ومما اسف له وتأسف انهُ لم يدخل ذلك في صلب الكتاب بل جعله ينحى عنهُ .

والكتاب مخدوم ، زاخر بالتعليقات والفوائد والتنبيهات والشواهد على أسلوب عودنا الأب العلامة إياه : فن استقصاء واستطراد ، وتفص وتفحص . ومن الكتب التي رجع اليها المؤلف الناشر : الاحكام السلطانية والتعريفات والتهذيب والعقد الفريد وفتوح البلدان وقوانين الدواوين لابن مماتي ونخب الذخائر في احوال الجواهر لابن الاكفاني (وقد نشره الأب العلامة لسنة مضت) . ولعل المؤلف الناشر رأى أن يهمل فصلاً صغيراً للخوارزمي في «مفاتيح العلوم» عنوانه « في مواصفات كتاب ديوان الخزن » وباباً في المخصص

وللكتاب بعد هذا سبعة عشر مسرداً (فهرساً) . وهذه طريقة للاب العلامة تذكر له ويمدح بها . ففي المسارد تقريب الفوائد وبذل الدفائن . ولا ضير ان تكون كثيرة . ومن مسارد الكتاب مسرد للعيوب والانقاب والصفات المعظمة الواردة على النقود ، وآخر للموازين والمكاييل والمقاييس والآثار ، وآخر للاصلاحات والاضافات ، وهكذا ترى بلغ فائدة هذه المسارد ، فمن الخطإ ان يقنع الناشر بالفهرس المشتمل على فصول الكتاب ومواده .

المحكم في أصول الكلمات العامية

للدكتور احمد عيسى بك . مكتبة مصطفى البابي الحلبي بمصر ٢٥٢ ص من قطع المقتطف

للدكتور أحمد بك عيسى مِنَّة على اللغة العربية هي المعجم الذي عمله في النبات ، وله بعد هذا « تاريخ البيمارستانات » ، هذان هما مؤلفاه المقدَّمان وبهما يحق له ان يفخر ويفاخر

وقد أخرج اليوم كتاباً جديداً يدخل في فن اللهجات وهو فن مستحدث من فنون علم اللغة ، قد علا شأنهُ في جامعات أوربة ، ولم يطرق بعدُ هنا إلاَّ عرضاً أو من طريق الاشارة

والكتاب يثبت طائفة كبيرة من الالفاظ العامية ، مرتبة على حروف المعجم ، مع ما يراد منها في الاصل العربي الفصيح ، وقد حُرِّفت عنهُ من طريق اللحن الجاري على ألسنة العامة . ومزية الكتاب أن مؤلفه يورد فوائد كثيرة عند الفحص عن الاصل الفصيح اذا كان للكلمة أصل في اللغة ثم يتتبع مصدرها إذا كان مرتجلاً أو منقولاً عن لغة أجنبية . وربما عمد المؤلف الى طريق الترجيح فصاب : مثال ذلك مقاله في « إتاتَرْح . أترجه » ، و « إبّاوى » و « دوّار » وربما ذهب في التخمين فجاء كلامه موضع نظر : مثال ذلك ما قاله في « شمع » وهي كلمة ر

في تعبيرات الصوفية ، وفي « أبو القسمين » و « الابعد » (وفي « الا بعد » كناية اذ يجري الحديث على غير السامع في موضع ذم فتبعده عن السامع دعاء ، وعلى ذلك قول العامة ايضاً ، «فلان — البعيد — لئيم »)

هذا وكان يحسن بالمؤلف أن يرسم نبرات الحروف على وجهها في اللغة العامية فيجعل علامة للامالة بدلاً من الكسر الصريح في الحروف المالة ، مثل لفظة « شيفتيـــي» . وذلك لان علم اللهجات الحديث يتطلب حكاية الاصوات والحركات والنبرات على ماتنطق به

ثم إنا كنا نودُّ أن يذكر المؤلف بعض من سبقه في معالجة فن كتابه . فقول هذا وبين يدينا كتاب « تهذيب الالفاظ العامية » للشيخ محمد علي الدسوقي ، مصر ١٩٢٠ ، فقد وافق كتاب الدكتور عيسى في غير موضع

وبعد فان هذا الكتاب حقيق بأن يُعتدَّ به ويُنتفع فهو من المؤلفات التي تخدم اللغة العربية الخدمة الجليلة وتجري الى تهذيب المنطق وتحرير اللسان ب.

في الادب المصري الاسلامي

من الفتح الاسلامي الى دخول الفاطميين

صفحاته ٢٩٠ — مطبع مطبعة الاتحاد بمصر

عنوان هذا الكتاب كموضوعه يدل على اتجاه جديد في بحث الأدب العربي . فلقد كانت دراسة هذا العلم في مصر متجهة الى أدب بغداد أو أدب الشام أو أدب الجزيرة . لأن هذه البلاد الثلاثة تنقلت فيها الخلافة الأسلاميـــة العامة . ولقد أغفل الأدب المصري الأسلامي وضاعت دراستهِ حتى في داره . وأهملت مناهج الأدب العربي للمدارس الثانوية المصرية دراسته المطوَّلة . ولم يرد لمصر ذكر فيها الاَّ كلمة صغيرة سريعة اللمح عن الأدب أيام الطولونيين والأخشيديين والفاطميين والايوبيين . وهي كلمة لا تقاس بجانب الكلام الطويل المفصل عن الأدب الجاهلي أو الأدب في العصر العباسي بقسميه

ومجب جدًّا أن « المصرية » ذابت في الأدب كما ذابت في التاريخ العام . فقليل جدًّا هم الذين يعرفون أدب مصر الأسلامية من المصريين . وذلك راجع الى عوامل سياسية تقلبت على مصر حتى كتب الله لها أخيراً ان تنهض على قدميها مبتوبة لتقول للعالم في كبرياء: هذا تاريخي وهذا أدبي !

وكان من أثر اهتمام جامعة فؤاد الأول بهذا الموضوع أن أنشىء فيها كرسي الأدب المصري الاسلامي . فاهتم الشباب المثقف المعتز بأدب بلاده . وظهر كتاب اليوم نتيجة لهذا الاهتمام . ومؤلف هذا الكتاب يشكر كل الشكر لأنه كان رائداً من رواد النهضة المصرية ممثلة في الأدب . ولقد كلفته تلك الريادة سعياً طويلاً وجهداً متلاحقاً . الاَّ أنهـــا كلفته في

الوقت نفسه أسرافاً في التقدير . وله في ذلك بعض العذر . فهو محب لمصر ، والمحب دائماً مسرف والا فكيف جاز لهُ ان يستدل بهذا البيت

وما كم أمير المؤمنين بحية أكول لحيات البلاد شروب

أو بأشباهه على ان هذا المعنى من آثار مصر في أبي نواس لأن مصر بلد عصا موسى وحيّات السحرة (ص ١٨٢) . وما رأي المؤلف في المثل العربي القديم « ان العصا من العصية ولا تلد الحية الا الحية » أفأخذ من هذا ان القائل الاول للمثل لا بد ان يكون مصريًّا أو عاش في مصر . قرأت هذا الكلام فابتسمت الابتسامة التي أضعها حينما أقرأ في بعض كتب الأدب المدرسية الحديثة — عن اثر البيئة في الشعر فأجد فيها الاستدلال على بيت — ليكون — جاهليًّا — بذكر الظلل او الأبل او الحنين . وهو استدلال خاطىء لأن قائل هذا البيت قد يكون متأخراً جدًّا ولكنهُ تعمد في تقليد القديم

هذا الكتاب الجليل الشأن في تاريخ الادب المصري مقسم ابواباً متفرقة . تكلم فيها المؤلف الفاضل عن موضوعات جديرة بالقراءة جديرة بالتفكير ، فقد استهله بالحديث عن الادب قبل الفتح الاسلامي . وخلص من ذلك الى الفتح والحياة العقلية وفن الكتابة والشعر . ومن الحظ الحسن ان يكون للشعر نصيب عظيم في هذا الكتاب . فقد استغرق مائة وخمسين صفحة — اي اكثر من بقية الموضوعات مجتمعة — وتلك يد للمؤلف يذكرها لهُ الشعراء الاوفياء. ولا يعيب جمال تلك اليد ان المؤلف اخطأ كثيراً في نقل الابيات خطأ لا يستقيم معه وزن ولا يقولن حضرته انهُ خطأ مطبعي فلم يرد له تصويب في جدول التصويب بآخر الكتاب ولعله يعتذر من ناحية اخرى بأنه لا يلم بعلم العروض ، ولكنه قد كان له عن ذلك كله مندوحة بعرض اصول الكتاب على من لهُ بالشعر بصر ....

ونسوق هنا بعض الادلة على ما نقول ففي صفحة ٢٠٢ ورد هذا البيت

فجزى الله حاجيا فظا كل خير عنا اذا يجزيه

والشطر الاول مكسور فبحره الخفيف وليس الوزن مستقيماً ولعل حاجيا حاجبا وفي صفحة ٢٠٩ البيت التالي

يدل ذوي الالباب ان بناءه وبانيه لا بالضين ولا الضر

والشطر الثاني منه مكسور . في صفحة ٢٢٠ البيت الخامس

لقد طهرت الارض من سوء فعله ومن وجهه ذاك الكريه المورم

والشطر الاول منه مكسور لان ثالث مفاعيلن محذوف وهو لا يحذف وغير هذا كثير وعبارة المؤلف العربية تحتاج الى شيء من التصحيح ثم ينقصها شيء من الضبط فهو يقول في

ص ٢٣٦ (وقت شعورهم) والشعور مذكر لا مؤنث ومفرد لا جمع . ويقول في صفحة ١٩١ عن ابي تمام (لم يصلنا عنه شيئاً كثيراً) والصواب شيء كثير وغير هذا كثير

وبالرغم من ذلك كله فالكتاب بمجهود طيب لمؤلف نرجو ان نرى في تآليفه المقبلة اثراً لمكوثه على كشف القناع عن أدبنا المطوي في تضاعيف السنين محمد عبد الغني حسن

ثورة الاسلام وبطل الانبياء

ابو القاسم محمد بن عبد الله

بقلم محمد لطفي جمعة — مطبعة عيسى البابي الحلبي — ٥١٢ ص — من القطع الصغير

هذه فاتحة مباحث المؤلف الاستاذ محمد لطفي جمعة المحامي « سلسلة الثقافة الاسلامية وحضارة العرب » . وهذا الكتاب يتناول ظهور الاسلام وعلو شأنه على يد الرسول في زمن الجاهلية والوثنية العربية . وفيه اساطير جاهلية كثيرة لطيفة من فلسفة الى لغة الى عقيدة الى تاريخ . وقد عول المؤلف على طائفة من امهات الكتب العربية القديمة كالحماسة والكامل والسيرة فضلا عن القرآن وكتب الحديث . ولا بد من ان نقول ان المؤلف يجري في كتابه هذا الى تعظيم اشراق النور الاسلامي . ولكن أيحتاج في ذلك الى تنقص عهد الجاهلية وذم أهله اقبح ذم؟ فقد قال مثلاً (ص ٢٦٨) « كان الغدر من ابرز رذائل الجاهلية فلم يعرفوا الوفاء والمروءة ومكارم الاخلاق إلا بعد الاسلام » . وهناك غيرهذا من ألوان نأخذ الاخلاقية على عرب ذلك الزمان . والمؤلف في هذا يجري على منوال فريق من المؤلفين المحدثين من عرب ومستشرقين وما أبعد القوم عن الصواب ! فمن الشعر الجاهلي وأخبار الجاهلية يتبين لنا أن العرب في جاهليتهم لم يكونوا « متوحشين » كما جاء في (ص ١٠٩) وفي كتاب « الغرض عند عرب الجاهلية » للدكتور بشر فارس تفصيل ذلك ، وفي فصله « مكارم الاخلاق » من كتابه « مباحث عربية » إشارات الى مواضع كثيرة فيها مثل ابن قتيبة عن فضائل عرب ذلك العهد

هذا وكتاب يُقرأ بسهولة كالقصة وفيه فوائد مجموعة ، وتصيره نبذة دينية حسنة

الربيع الآثم — مجموعة قصص مصرية

للاستاذ محمود كامل المحامي — ١٥٢ صفحة من قطع الجيب — دار الجامعة للطبع والنشر

الاستاذ محمود كامل المحامي من الادباء الذين برزوا في كتابة الأقصوصة . وقد نالت أقاصيصه من الذيوع والانتشار ما لم تنله أقاصيص اي أديب آخر من أدباء العربية المعاصرين في مصر . ويرجع ذلك — في نظري — الى انه فنان يعالج في أقاصيصه حياة الطبقة الوسطى المصرية » وهي طبقة عليها كل الاعتماد اليوم في ذيوع الكتب وانتشارها ، لان منها تجيء الطبقة المثقفة في مصر . ولا شك في ان معالجة حياة هذه الطبقة وتصويرها الشيء الكثير من التقرب اليها . على اننا بعد ذلك نجد هذه الأقاصيص ليست من الناحية الفنية جديرة بالنظر . وهذا كان موضع من مواضع

مؤاخذتنا على بروكلمان اغفاله الكلام عن أقاصيص محمود كامل في « تكملة تاريخ الآداب العربية » وذلك في الوقت الذي أشار فيه الى أقاصيص كتاب آخرين قد لا يجارونه في الروح الفنية والانتاج (انظر لنا مجلة المعهد الروسي للدراسات الاسلامية — عدد اكتوبر — نوفمبر ١٩٣٩)

ومن المهم ان نقول في هذا الصدد ان الاستاذ محمود كامل رأس مدرسة قصصية في الأدب العربي المعاصر، معظم أفرادها من أدباء الشباب انتظمت جهودهم على صفحات مجلة « الجامعة » و« العشرين قصة » ومن أبرز هؤلاء الادباء : ابرهيم حسين العقاد وعادل الجمال. والحق ان محمود كامل لم ينل زعامة مدرسة قصصية في الادب المصري اعتباطاً ، فانتاجه الكبير وما يتسم به هذا الانتاج من السمات الفنية هما اللذان مهدا له سبيل هذه الزعامة. وآخر آثاره مجموعته القصصية « الربيع الآثم » وهي تجمع خمس عشرة أقصوصة بين دفتيها ، والسمة الغالبة على هذه الاقاصيص : ان الواقعية تمسك عليها مداخلها والرومانسية تأخذ عليها مخارجها ، فهي من هنا مزيجة من الفن الواقعي والفن الرومانسي. ذلك أنهُ ينقل وقائع أقاصيصه من المجتمع المصري، ويتخذ موضوعاتها من حياة الطبقة الوسطى في مصر ، ومن هنا يجيء الاصل الواقعي في فنه . غير أن هذا النقل وذلك التصوير يغلبهما جانب تغليب الاحساسات والمشاعر . ومن هنا يجيء جو أقاصيصه صاخباً بصور عاطفية ، فيسبغ ذلك على مخارج أقاصيصه لوناً وجدانيًّا (رومانسيًّا) وهذا يظهر بوضوح في أقصوصتي « صراع » و « عندما يكره الرجل » على أنك بعد ذلك تصيب غلبة اللون الباطني في بعض الاقاصيص كما هو الحال في أقصوصة « كانت أمينة » ففيها تظهر بعض معالم التفكير الفرويدي Freudism (ص ٩٤) وأقصوصة « الربيع الآثم » التي يبدو فيها التأثر بأفكار ريبو Ribot (ص ٤٣) . هذا فضلاً عما تصيبه من الاجواء الخيالية — Romantique — في بعض الاقاصيص كأقصوصة « أضواء » (ص ٧٩) وعناصر المأساة (الفاجعة) Tragique في أقصوصة « الشكوى » . هي قطعة من الادب الانساني العالي . وأظن ان الوقت قد حان للانتباه لما في أقاصيص محمود كامل الخاصة من العناصر الفنية التي تجعلها حية بالشعور زاخرة بالاحساسات فتسبغ عليها قيمة أدبية خاصة

الاسكندرية اسماعيل أحمد أدهم

نشيد الرائحة

قدر يلهو

قصة تأليف الدكتور شكيب الجابري

لي وجه رفيقه صبوحاً تشرق النضرة من محيّاها فدعاها الى منزله القريب يصيبان فيه بعض شراب حامض أو طعام ، وتمكثان قرب المدفأة ريثما يبدأ وابل المطر

كانت الفتاة متأهبة لسماع مثل هذا الاقتراح الجريء ، وقبول المؤلف لا نظرت الى صبي بعد ان أتمّا على الطعام كله فدا القلق على عينيها ، وكانت كأنها المتحير مكروهاً لا بد من وقوعه .... وبقول « أعتقد لنا ما يلزم للطعام ، ثم غادرت الغرفة ورجعت بعد دقائق وإذا الفتاة مدثرة لم يظهر منها سوى خصلات شعرها المشمشة الذهبية »

هذه الفتاة الهائمة على وجهها قصة موجعة تماثل وجائع أخواتنا اللواتي يلقين المنت الجائر والتسلف المنس من زوجات والدهن فيقترن هاربات منهن ، ومن اكتشار وجه الحياة في عيونهن ، ومن والدين وقد اقفلوا فيهن روح النور بصدودهم عنهن وإرتمائهم في احضان زوجاتهم ، وقد قصها لصديقها هذا الذي اواها بعد تشرد ، واشبعها بعد جوع ، أخذت الفتاة تقول

« في ليلة أغرمت فيها زوجة أبي بي اهانتي ، وقلي والدي في الاعضاء عنها ، في تلك الليلة بدا عني الكرى ، وضاقت في عيني آفاق الحياة ، وأخيراً مضى لي ذهني خاطر دفع بي الى جمع ثيابي ، والتسلل محفظة نقود والدي ، والذهاب الى المحطة تركبت القطار الى برلين

في برلين انكشفت لي المدينة الكبرى عن حقيقة ما انطوت عليه من فقر ودقة ، لم أدع باباً من ابواب الرزق الا طرقته ، نضبت دراهمي ، أخذ الجوع بداهمني ، خرجت من شرفتي ، لجأت الى الحدائق العامة ، شاهدت في زواياها المظلمة شماسة تفوس الرجال ، تضاءل الحياء والخوف والرهبة في دماغي ، وحين ذلك كان الذهول متجمداً في رأسي والحمى تنضح لي أذني ، وكان قد مات في قلبي جميع ما غرس فيه من حذر وحياء ، وتلاشى ، فما عرضت علي أن اصحبك حتى فعلت وصوت الجوع يهمس في أذني ، فمت ذلك الرجل اجتمع الشيق فأسات بك الظن « أما الآن فيخيل لي انني أذكر اني لقيت رجلاً قبل ذلك ان تنظر لي سوء على هذا الاساس من الشفقة والحنان ، والاكبار والاحترام ، والتجاوب الروحي ، وعلى بعدهم الالم والفهم لظواهر الاشياء وخباياها تأسست وتركزت اصدقاء بيننا

طرأ على حياة الرفيقين ، حين وجد الفتاة يطوه الوجوم وانشجن الامر الذي أقلق وحرك صاحبها فأسف وهو المطور على التطف على الايدي الباسمة والاستعانة بالبيوت الوضاءة يستهدف كل يوم هدفاً جديداً وينفذ من معين جديد ، غافلاً عن استطلاع كنه شجن رفيقه وسبب وجومها ، وأخذت هي تجد في انتظار من مستقبل حياتها ، وتعمل بلباقة المرأة ودهائها على الا تدع رجلها يملك منها

لم تكن تتارم تيار الرجل اتئاداً على جاها وثقتها بل كانت تجاريه بسليقة الفتيلة والبسه الغريزة والتطور الصاعقة حين وقت عودة الشاب الى وطنه وقد أتم دروسه ، وتحمد وعد السفر ، قل تطلق الفكرة الذهاب الى المحطة خوفاً من افتضاح حبها الصامت ووجلاً من أن يخونها جلدها ، بل حملت احد المودعين كتاباً قالت فيه « .... أما اليوم فني أبدي لك هي غير خائفة منك سداً ولا هزؤاً .... كتبت اليك لا لادخل الحزن فؤادك أي أتكد سفرك بلعنة قاتلة حقاء ، بل لاعد ذهنك لامر جلل .... وان تنظر في دني الذي جئته عمداً عليك وعلى بريء نالت هي ثمرة حبي الفاتر لك ووليد اثانية عمياء دفعني اليها حب الحياة دفعاً .... لقد عرفتك بإعلاء الدين كريماً شريفاً ابوياً وسيكون ابنك أنموذجاً كريماً .... اعتقد ان المرأة الموزة غريبة من بؤرة الرذيلة طالما هي مليئة بحب نفسها لنفسها ، اما المرأة التي وهبت حياتها على انسان تحب وتحترمه فلا خوف عليها من الرذيلة ولو مزقتها انياب الفاقة .... رجائي الاخير ان تذكرني باعلاء من آن الى آن ، بينك وبين نفسك ، فان ضلت سعدت وسعد ابنك »

* * *

فهم حب علاء الدين لصديقه ابلزاك كما تفهم الحياة في الفرة ، ولم يلبث ان صوّر ذكريات درست الاحوال الرسومها وعفت شعومها ، والخطاب بكلوحه من تلافيف في دماغه لا يمحى من رسوم وصور وحوادث وذكريات لا يعود اليها الا في ساعات الاسى الموجعة ، او الكآبة واليأس التي ابتداع صور وذكريات جديدة ، او مفاجأة سارة مدوية ، وقد تكون تجمعت هذه المناصر دفعة واحدة لتقلب علاء الدين الى احد الملاهي ليرى الراقصة البلجيكانية التي اسرت لب صديقه الموظف في الحكومة الذي كان يتخيل الحصول على المال يغدره على مائدة الشراب وهو الذي عاش حياته كلها محافظاً على اصالة الكرامة والسجايا

الليلة لهذه الراقصة المجبولة من طينة تختلف عن الطينة التي عرفن

عرفت ابنسكا علاء الدين ولكنه لم يعرفها أبدا بالمرة ، لقد عرف ايلا قبل اثني عشر عاماً فتاة ، تتدفق الحيوية من عينيها ، والفتنة من تضارة شبابها ، والبساطة في هندامها المتواضع ، أما الليلة فهي سيدة أنيقة مرحة لعوب ، عملت أيدي التزيين والتنميق في شعرها وعينيها ووجهها وبدنها وملابسها الطبيعة الجائرة اخاقرتها في رقتها وهو اذ ينظر الى عينيها « هذا بريق شيطان يعربد فيهما » يرتسم الوهن والضعف في تصف الهالة البنفسجية المحيطة بمحجريها » لقد عرفها حقاً وتجلت صورتها في ذهنه ساعة رآها مسجاة في سريرها مدثرة لا يظهر منها سوى خصلات شعرها الذهبية ، وسمع منها وهي تلبث وتسعل قصة جديدة ، قصة والدها الذي ربته وعملت لان يكون صنو أبيه ، وكيف جاهدت وذللت الحياة لتكسب له يوفر الهناءة والسعادة لذلك الوالد الذي سكبت فيه روحها وحبها ولكن الاقدار رزأتها فيه ....

لقد اضاعت المسكينة كل شيء وأصبح ما حولها فراغاً ، فأخذت تطوي احزانها بالخمر ، وتدغم بكاءها بالضحك ، وتبرقع سهومها بجنون الرقص وهي الآن تدعو علاء الدين الى الاغتراب لتودع بين يديه نفسها الاخيرة كما حيته من قبل النسمة المقدسة من حبها المقدس

***

هذا ملخص مقتضب لهذه القصة الخالدة بنضائر من الفن لا تجد لها مثيلا الا في خزائن ابطال القصة من الغربيين ، وكان بودي لو يتسع المجال للتبسط في عرض خلاصات وافية لبعض فصول هذه القصة الرائعة الرائعة في خصائصها الفنية ، في كيفية العرض وطريقة الاسلوب ، في طبيعتها الموضوعية والذاتية وما يعتمد فيها على قوة الملاحظة ، وبراعة الاستقراء في رسم الاحساسات والميول الخاصة والعامة وتزجيتها لتصبح كائنا الروح الشائع في الجسد ، في بصيرة كاتبها النافذة يرى حقائق البواطن والظواهر ، ودوافع الجسم والارواح ، وتحرك طبائع الاشياء والاشخاص من خلال الظلمات والانوار ومن شتى الحالات النفس

الرائعة حقاً في اظهار مؤلفها البارع ببراعة طبائع الشهوات ونزوات الغرائز ، في مقدرته على اشعار القارىء بفلك من لهب الحقائق وصور الخيال التي هداه اليها في جعل التصورات المبتدعة من صميم الحيال تتمشى مع طبيعة الحياة المحسوسة ، في اتصالنا عن ظواهر الحياة المتعددة ، في الايحاء الكلي الى اشخاص القصة التي يرسم في مجرة الحوادث وفي رسم ملامحهم وحركاتهم وما يطرأ عليها خلال اضطراباتها بوقائع الحياة ، في انصباب الشغاف الذي يرتمي به وجه الحياة احساس المتقلب والقارىء فيما حسب الاستطلاع وغريزة الفضول

والرائعة حقا وحقاً في التحليل يقضي على العواطف بتأثيلها من وهاد النفس ليطرحها في النور ، في تغلب العقل على ملكات الاستشعار والاستبداد ، في المزج بين خصائص العقل الذراع الى المنطق والنظام والتدريب والبناء وبين خصائص الخيال الفياض المبدع

لقد استجليت هذه المزايا الفنية في قصة « تحت الهدم » واني اذ أحتفي كل الحفاوة بالدكتور شكيب الجابري وأدعو القارىء الى الاشتراك معي في الترحيب به واجلاله اثناء الاولى ، لعبقريته في جمع هذه الخصائص واشاعتها في جوانب هذه القصة التي تعبر فيها الروح وترتمي لحياة واخيال والحب

ولو حاولت الانتقال من التعميم الى التخصيص لذكرت الحوار البارع ، والسخرية الدامية ، والنكتة اللماحة ، والنصح السديد ، والعبرة الحاذرة الى اغراض تبدو وتختفي وفق الملابسات ، والى وثبات ومضات تلك بين راحتي الدهشة والاعجاب

لا أحسب اجمال بسحر ، وتلك بجملتي التعذر عن ليس بفائق وساحر ، غير اعتقد في هذه القصة تمثل المؤلف اتجاه كان ، سيرا في الدرب الذي يرتاده بعيدة من الاسلوب التعميمي المطلق مثل ذلك « قد » الذي الجين في قولهم « زاد ... وقد ... الذي يزيد بلا نقص و ... » صبر ... و « ... » صحك ... فتور « وحزن » وهي ... التعميمي المتحير و « الفلسفي » ان يكون في ... كل ... وتعلقات ... من كانت ليس ... الاشكال ... يقبل الموضوعة على المقولات من نوع ... وكان ... الوسيع ... باثبات كل سيلة نقد المعنى ... لا تحصر ... على الموضوعي ... الموضوعي ... الموضوع ... ينبغي ... لا شك ... روح التعميمي ... موضوعي

القاهرة حبيب الزحلاوي